نظرات
في
التربية والسلوك

للإمام الشهيد حسن البنا

جمعه ورتبه وعلق عليه

عصام تليمة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤١٧هـ- ١٩٩٦م

الطبعة الثانية للناشر

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٢١٨

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977 - 265 - 597 - 7

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر-القاهرة -السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

تنويه

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه هى الطبعة الثانية من كتاب (نظرات فى التربية والسلوك) للإمام الشهيد حسن البنا، وكنت قد أخرجت الطبعة الأولى من هذا الكتاب منذ عامين، وقد دعانى لتعديل هذه الطبعة عدة أمور منها:

أولا: عدم نشر الكتاب فى طبعته الأولى كاملاً، وذلك لأمور ليس للمحقق فيها يد.

ثانيا: أنى أعدت النظر فى الكتاب مرة أخرى، أصحح ما كان من خطأ منى، أو ما كان من خطأ مطبعى، وكذلك أضيف ما رأيته من مقالات عثرت عليها فيما بعد للإمام البنا فى نفس الموضوع.

ثالثا: أنى ابتليت بما ابتلى به غيرى ممن تسرق جهودهم العلمية، فقد فوجئت بمؤلف كتاب (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية.. شبهات وردود)[1] يقتبس من كتابى هذا دون عزو، أو إشارة لجامع ومحقق المقالات، ولو وقف الأمر عند النقل من النصوص دون السطو على الآراء والتحقيقات العلمية لهان الأمر، ولكنه اقتبس الآراء العلمية ونسبها إلى نفسه، وإلى الله المشتكى، وسوف يجد القارئ -بإذن الله- لهذه الإضافات أهمية فى موضوع التصوف، والتربية الروحية.

والله أسأل أن ينتفع بالكتاب مؤلفه، ومحققه، وناشره، وقارئه.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

عصام تليمة

---

(١) من تأليف الدكتور توفيق الواعى.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فـإنَّ علم التربيـة والسلوك ضـاربٌ فى أعمـاق التـاريخ الإسلامى، والثـقافـة الإسلامية، بل والحيـاة الإسلامية كلها، وإن اختلفت تسميته من فـئة لأخرى، فئة تسمِّيه: (التصوف)، وأخرى تسمِّيه: (علم السلوك).

وعلم التربية والسلوك: علم يـهتم بتهذيب أخلاق المرء، وتربيتـه على مجاهدة النفس، وصفائها، وخلوها من كل ذميم ذمه الشرع الحنيف.

والتربية الروحـية يحتاج إليهـا الداعية، بل لابد منها عند تكوينه، فـداعية بلا علاقة بالله سبحـانه وتعالى، أشبه ما يكون بالبيت الخرب، يقـول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: هذه المحطة الروحيـة هى مبعث فيوضـاتك وعطائك، وهى مصدر فقهك ومحـاسبتك لنفسك.. بل هى الجهاز والمولد لطاقتك الإيمـانية، وإشراقتك الروحية، ومحاسبتك الباطنية، ومراقبتك الربانية، وانطلاقتك الدعوية...

فإذا خلت نفسك -أخى الداعـية- من معالم هذه الروحانية فـقد خلت حياتك من الطاقة التى تعطى، ومن النور الذى يهـدى، ومن الإخلاص الذى يؤثر، ومن المراقبة التى تسدد، ومن التقـوى التى تذكر.. وظل باطنك فارغًا خربًا، وظاهرك باهتًا ممسـوخًا.. لا يرى منه بصيص من نور، ولا لمعة من إشـراق، ولا لمحة من وقار.. بل تنقلب إلى إنسـان دخيل متطفل أنانى.. لا تريد فى الحقيـقة أن تدعو إلى الله، ولا أن تقصد فى عملك وجـه الله، وإنما تريد أن تدعو لشخصك، وأن تبنى الأمجاد لنفسك.. وهنا مكمن الخطر، وموطن الداء!![1]..

ولقد تناول سـلفنا الصالح هذا العلم بالشـرح والتفصـيل، سواء من سـمَّوه: التصوف، أو من سموه: السلوك.

---

(١) مدرسة الدعاة (١/ ٢٣٠).

كتب فى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فى (مجموع الفتاوى) مجلدًا باسم (التصوف)، وآخر باسم (السلوك).

كما كتب تلميذه ابن القيم رحمه الله كتابه الشهير (مدارج السالكين)، وهو من أعظم الكتب وأروعها، جمعًا بين السلفية والتصوف السنى الصحيح، أقر بهذا مَنْ أقر، وأنكره من أنكر، وغيره من الكتب التى كتبها ابن القيم بروحانية وشفافية عالية.

كما كتب أهل هذا الفن نفسه كأبى حامد الغزالى، وأبى طالب المكى، والقشيرى، وابن عطاء الله السكندرى، ومرتضى الزبيدى، وابن عجيبة، وغيرهم.

ولم تخلُ المكتبة الإسلامية المعاصرة من كتابات فى هذا اللون، فقد كتب الشيخ محمد الغزالى (الجانب العاطفى فى الإسلام)، وكتب الأستاذ سعيد حوى (تربيتنا الروحية)، و(المستخلص فى تزكية الأنفس)، وكتب الشيخ يوسف القرضاوى (تيسير فقه السلوك فى ضوء الكتاب والسنة) وهى سلسلة صدر منها: (الربانيَّة والعلم)، و(النية والإخلاص)، و(التوكل)، و(التوبة إلى الله)، كما أصدر غيرهم من العلماء كثيرًا من الكتابات المعتدلة يصعب حصرها هنا.

وممَّن تناول هذا اللون من الكتابة بالاعتدال أيضًا، وكتب كتابة الخبير بهذا الفن ومصطلحاته، ومراحله وتطوراته: الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله- فقد كتب عدة مقالات فى مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية عام ١٣٥٢هـ، تحت عنوان: (التصوف والأخلاق) وكتب عدة مقالات فى هذا الفن، وكتب مقالات أُخر لا تحمل عنوان التصوف مباشرة، ولكنها تدخل فى فنه.

وقد رأيت من النافع لطلاب العلم والباحثين وغيرهم.. جمع هذه المقالات التى تندرج تحت هذا العنوان، لما فيها من نظرات صائبة، خرجت من رجل عُنى بالتربية وتهذيب النفس حتى لقى ربه. غير أنى ترددت هل أسميها باسم التصوف، أم أسميها باسم آخر؟ وقد أردت أن أسميه فى بادئ الأمر بـ(التصوف والأخلاق) كما كان عنوان الباب الذى كان يكتبه الإمام البنا فى مجلته الأولى مجلة (جريدة الإخوان المسلمين)، غير أنى وجدت أن العنوان أصبح مرتبطًا فى

أذهان كثير من الناس بالتصوف المغلوط، المختلط بالشطحات، وأن العنوان قد يصرف كثيرًا من القراء عن قراءته، وهذه آفة يجب التخلص منها فى ثقافتنا المعاصرة، فالعبرة بالمضامين وليس بالعناوين.

ثم قرأت للإمام البنا نفسه فى مذكراته تحبيذه أن يُسمَّى هذا العلم بعلم السلوك والتربية، فاخترت لها عنوان: (نظرات فى التربية والسلوك)، وأخذت أجمع معظم مقالات البنا التى تتعلق بموضوع التربية والسلوك.

ونلاحظ فى مقالات الإمام البنا هنا، أنها مقالات صيغت بعبارات أدبية رفيعة، وأن أدويته التى كان يصفها -لمن يطلب منه الدواء لداء أصابه- أدوية ناجعة، تدل على أنه رجل مربٍّ مجرب، وأنه أيضا لم يكن يشغله عمله التنظيمى والدعوى العام والخاص، والاقتصادى والسياسى -لجماعة بلغت ما بلغت من حجمها الكبير[1]- عن متابعة أتباعه، والاهتمام بمشكلاتهم، وعلاج ما يلم بهم من خواء روحى، أو ضعف إيمانى، كما نرى فى مقالاته: (رجل لا قلب له)، و(هل من توبة؟) و(علاج الرياء)، و(نصيحة) و(كيف يتأثر الطبع؟) إلى آخره.

كما نلاحظ أن البنا رجل مُلِمٌّ إلمامًا كاملاً بالتصوف ومصطلحاته، ورموزه وإشاراته، بل بكتبه وشيوخه، مما يجعله يتكلم عنه كلام العالم الخبير، فالحكم على الشىء فرع عن تصوره، ولذا يأتى حكمه وسطيًا صائبًا، بعيدًا عن الغلو والشطط، فلا هو ممن يغرقون فى شطحات الصوفية، سائرًا وراء قول شيوخ التصوف بلا تمييز لما يقال، ولا هو بالذى ينفيه مرة واحدة، ويرفضه رفضًا كاملاً، رافضًا أن يستفيد بأى جانب إيجابى مفيد فى التصوف، من تربية للبدن، وتهذيب للنفس، وهذا الذى ذهب إليه الإمام البنا هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومعظم الأئمة الأثبات من أهل التوسط والاعتدال، كالعز بن عبد السلام وغيره[2].

---

(١) حتى قال أحد الصحفيين عن البنا ودعوته: الرجل الذى يتبعه نصف مليون شاب.

(٢) لمزيد من التفصيل فى توافق رأى الإمام البنا مع شيخ الإسلام ابن تيمية فى قضية التصوف انظر: (معًا على طريق الدعوة.. ابن تيمية وحسن البنا) للأستاذ محمد عبد الحليم حامد. طبعة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

مصادر الكتاب:

أما عن مصادر هذا الكتاب، فهى عدة مجلات وجرائد كان يكتب فيها الإمام البنا رحمه الله، وهذه المصادر منها ما هو من وسائل الإخوان المسلمين الصحفية، ومنها ما كان من الوسائل الصديقة، المحبة لدعوة الإخوان، ولمؤسسها عليه رحمة الله، أما مجلات الإخوان التى جمعنا منها مواد هذا الكتاب، فهى:

١- مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية.

٢- مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية، التى بدأت نصف شهرية، ثم أسبوعية فيما بعد.

٣- جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية.

٤- مجلة (النذير) الأسبوعية.

ومن الدوريات والصحف الصديقة لدعوة الإخوان:

١- مجلة (الفتح) وصاحبها الأستاذ محب الدين الخطيب عليه رحمة الله.

٢- مجلة (الأمانة) وصاحبها الدكتور منصور فهمى رحمه الله.

عملى فى الكتاب:

١- قمت بجمع المقالات، والتأكد من نسبتها للشيخ حسن البنا، وذلك بالتأكد من توقيعه على المقال، وذكر مكان نشرها، وتاريخ النشر[١].

٢- كما قمت بتصويب الأخطاء اللغوية التى وقعت من باب (سبق القلم)، والأخطاء المطبعية التى لا يخلو منها عمل ينشر فى الصحف، وهى كثيرة جدا، وقد نبهت على بعضها فى الحواشى، وإذا تكرر الخطأ نفسه أكتفى بتصويبه دون تنبيه، حتى لا يمل القارئ.

---

(١) للإمام البنا فى كتابة المقالات عدة توقيعات، وليس توقيعًا واحدًا، منها ما هو صريح باسمه، ومنها ما هو بصفته مرشدًا للإخوان المسلمين، ومنها بأسماء حركية أخرى، ليس المجال ذكرها هنا، وقد ذكرت عددًا من توقيعاته فى مقدمة كتاب (نظرات فى كتاب الله) للإمام البنا، بتحقيقى طبعة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣- قمت بوضع عناوين مناسبة بين الفِقْرات، وذلك من باب توضيح الأفكار، وميزت العناوين التى وضعتهـا عن العناوين التى وضعها الإمام البنا، وذلك بوضع ما وضعته بين حاصرتين [ ].

٤- كمـا قمت بتـرجمة مـعظم الأسماء الواردة فى المقـالات لرجال التـصوف وغيرهم، مما يحتـاجه القارئ من ترجمة لهم، ولم أطل فى التـرجمة إطالة تجعل القارئ يمل، بل ترجمت ترجـمة مختصرة، تعطى فكرة عـامة عن المترجَم عنه، وأغْضَضْتُ الطَّرْف عن المشاهير الذين لا يحتاج إلى ترجمتهم، كالصحابة ومن فى شهرتهم.

وقد ترجم الإمام البنا لبعـضهم، ترجمة موجزة مختصـرة مركزة، وسوف يجد القارئ تمييزًا لما ترجمـه الإمام البنا وما ترجمته، سيجد ما ترجـمه البنا مشارًا إليه بين قوسين أمام الترجمة بـ(البنا).

٥- كـما قـمت بتخـريج الأحاديث الواردة فى المقـالات، مع ذكر درجـة كل حديث من حيث الـصحة أو الضعف، مسـتعينًا- بعد الله عـز وجل- بأقوال أئمة وعلماء هذا الفن من السابقين والمعاصرين، مستفيدًا من كل المدارس الحديثيَّة.

٦- كما عـلَّقت على بعض الفقرات التى تحتـاج إلى تعليق يوضح الفكرة، أو يزيل شبـهة قد تفـهم خطأ عن صاحب المقـالات الشيخ البنا رحـمه الله، أو ملء فجوة، أو سد خلل فى الكلام، وسوف يجد القـارئ ما أضفته من عندى موجودًا بين حاصرتين [ ].

غرة ذى الحجة ١٤٢٥هـ — **الفقير إليه تعالى**

١١ من يناير ٢٠٠٥م — **عصام تليمة**

تمهيد

كيف أكتب القسم الدينى لجريدة الإخوان المسلمين؟

كيف أكتب القسم الدينى لجريدة الإخوان المسلمين؟ [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتمُّ الصالحات.

اللهم إنا نستهديك إذا دَجَنَ[2] ليل الشبهات، ونستعينك إذا وَهَنت القوى، وكلَّت العزائم، ونسترشدك إذا اشتبهت وجوه السُّبُل، والتبست مفارق الطريق، فاسلك بنا من ذلك ما تحبُّ وترضى، واجْعل ما نكتب حجة لنا لا علينا، واهدنا اللهم صراطًا مستقيمًا.

وبعد؛ فقد أُسْنِدَ إلىَّ القيام بكتابة هذا القسم من (جريدة الإخوان المسلمين) الناشئة، فتقبَّلت ذلك على كثرة مزالقه، ووُعُورَة مضايقه، مستمدًّا من الله المعونة والتوفيق.

والبحوث التى يضمُّها هذا القسم تتَّصل من علوم الدين بالتفسير، والعقائد، والفقه وأصوله، والتصوف والأخلاق، ثم عظة منبرية، ويتبع ذلك الفتاوى.

وسأتقدَّم إلى القرَّاء الكرام لأول عهدهم بهذه الجريدة بالمنهج الذى عزمت على سلوكه - إن شاء الله- فى تحرير هذا القسم، الذى تريد إدارة المجلة أن تجعله سلسلة علمية متَّصلة الحلقات، يتعرَّف منها المسلم ما يحتاج إليه من أحكام دينه اللازمة.

وأرجو أن يتكرَّم قرائى الكرام بتفهمه، وأن يرجعوا إليه إذا التبس عليهم بعض ما يكتب، وقبل أن أُفَصِّل طريق السَّيْر فى البحوث المتعلقة بكل فن من الفنون التى ذكرتها آنفًا، ألفت نظر حضراتهم إلى الملاحظات الآتية:

١- أن لكل عصر طريقًا فى الكتابة تتناسب مع أسلوب أهله فى الفهم وطرقهم فى الدراسة، ولابد من هذا التجدُّد تبعا لتجدُّد عقول الناس، وتغيُّر طرق البحث

---

(١) نشرت فى مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية فى العدد الأول من السنة الأولى الصادر فى يوم الخميس الموافق ٢ من صفر سنة ١٣٥٢هـ.

(٢) دَجَنَ: أى أظلم ودام وطال، انظر: أساس البلاغة للزمخشرى ص(١٨٣)، والقاموس المحيط للفيروز أبادى ص(١٥٤٢) مادة (دجن).

والتفكير والاستنباط، ولهذا كان لمؤلفات كل عصر من العصور الإسلامية السابقة طابعٌ خاصٌّ يمتاز به.

فالعصر الأول من عصور التدوين تمتاز تآليفه بالاقتصار على المتون والأسانيد مع التعليق عليها ببعض الآراء تعليقًا مختصرًا، كما ترى ذلك فى موطأ مالك رضى الله عنه، وفى مسند أحمد وفى كتب الحديث الأولى.

وفى العصر الذى يليه التفت المؤلفون والفقهاء إلى تلخيص الأحكام وترتيبها، وبيان المسائل التطبيقية عليها، كما ترى فى (الأم) للشافعى[1] رضى الله عنه، وفى (المبسوط) للسَّرَخسى مثلاً.

وجاء بعد ذلك عصر اقتصر فيه المؤلفون على سرد الأحكام والإكثار من التفريعات، وبيان الشروط والمحترزات ثقة بالمؤلفين، واعتمادًا على جهود الأئمة رضوان الله عليهم.

وجاء بعد ذلك عصر التعليق والتحشية والتقرير، وهكذا نرى لكل عصر طابعًا يمتاز به، وتلك سنة الله فى خلقه. وفى منثور الحكم: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم خُلقوا لزمان غير زمانكم»[2].

٢- أن عصرنا هذا هو عصر نهضة فى التأليف والعلوم والمعارف، ومع ما بدأ فيه من توجُّه الهمم إلى الترتيب والتهذيب والتسهيل والتعريب، لم تظفر فيه العلوم الدينية بشىء من همم المؤلفين، وجهود المصنفين، فظللنا من الكتب الدينية حيث كنا، عمادنا كتب من قبلنا، ولم نخدم نحن عصرنا بشىء، فلا زلنا إلى الآن عَالة على من سبقنا، ولهذا كانت فائدتنا من العلوم الدينية قليلة، لأن طريقة تأليف تلك الكتب وترتيبها ووضعها لا يتفق مع طرق الدراسة الحديثة.

ويظهر ذلك جليّاً فى عدة مواضع، نذكر بعضها على سبيل المثال:

أ- إذا أردت أن تتعرَّف حكم مسألة من مسائل البيع، وحاولت الوصول إلى ذلك فى كتب الفقه الحالية، فإنك بلا شك تستنفد جهدًا عظيمًا ووقتًا كبيرًا فى الوصول إلى موضعها، ثم فى جمع شتات أحكامها.

---

(١) الإمام الشافعى من شيوخ الإمام أحمد، فكيف يأتى بعده فى الزمن، ولعل هذا من سبق القلم عند الإمام البنا، أو أنه أراد بذلك تقسيم أعمال الفقهاء من حيث التأليف الفقهى.

(٢) أثر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه.

ب- بعض أحكام المعاملات الحديثة تخلو منه أمهات كتب الفقه، فحكم أعمال البنوك والمصارف، وبيع الكمبيالات، وما إلى ذلك كلها تتصل بالدين والفقه من حيث التحليل أو التحريم، ومع ذلك لا ترى لها وجودًا فى موسوعاته وكتبه، والعذر فى ذلك واضح، فهى لم تكن عند المتقدمين، وواجبنا نحن: أن نعالج ما يَجِدُّ فى عصرنا من مثل هذه المسائل على ضوء القواعد الكليَّة التى وضعها الأئمة رضوان الله عليهم.

ت- الإفاضة فى أحكام لا وجود لها الآن، كالتمثيل بمسائل الرِّق، والإكثار من ذلك، حتى لا يكاد يخلو منه باب من أبواب المعاملات فى الفقه، والتمثيل بوزن الدراهم، وذكر مقادير الكيل والوزن والمسافات باصطلاحات نحن فى حاجة إلى بيان ما يقابلها فى هذا العصر.

ث- إذا سألك شاب تعلَّم تعليمًا عصريّاً عن كتاب يلخص العقائد الإسلامية، أو أحكام العبادات بطريقة تناسب عقله، فأى كتاب تستطيع أن تدل عليه؟! مع علمك أنه يودُّ فائدة ملخَّصة مقنعة فى وقت قصير لأنه هكذا تعلَّم.

لا أقصد بهذا الطعن فى المتقدِّمين رضوان الله عليهم، كلا كلا، فهم -جزاهم الله خيرًا- أدُّوا مهمتهم، وقاموا بواجبهم لعصورهم، وألَّفوا كما تحب العقول التى عاشُوا معها، وخلَّفوا لنا هذا الميراث الغنى الخصب الفيَّاض بالعلم، الزاخر بالأحكام. ولكنى أقصد أن أستحثَّ همم علمائنا المعاصرين حتى يخدموا دينهم فى عصرهم، ويؤلِّفوا للعقول التى يعيشون معها كما كان أسلافهم، وكما قال ذلك الفلاح الشيخ: «قد غرس من قبلنا فأكلنا، ونغرس نحن ليأكل من بعدنا»[1].

لا أريد أن نكون حلقة غفلاً مجهولة فى سلسلة العصور العلمية الإسلامية، يصفنا أبناؤنا وأحفادنا بالتَّواكل والتَّقصير، بل أريد أن نكون حلقة قوية تصوغ علوم الأسلاف بالصيغة التى تجذب إليها عقول الأخلاف.

---

(١) قائل العبارة: هو أبو الدرداء رضى الله عنه.

٣- لهذا ستكون كتابتنا فى جريدة الإخوان المسلمين -إن شاء الله تعالى - على طريقة قد لا تكون مألوفة فى الكتب الدينية، ولكنها بلا ريب ستستمد من بحارها الجيَّاشة بالعلوم والمعارف، وسيكون عمادها جهود السلف الصالح وميراث الأئمة رضوان الله عليهم، فلئن كانت هذه الطريقة مبتكرة فى أوضاعها ونظمها فلن تكون جديدة فى أصول الأحكام وقواعدها، لأنها ثابتة لا يعتورها تغيير ولا تبديل.

٤- وليعلم قرائى الكرام أنى -وقد اخترت أن أطرق هذا الباب- لا أستأثر ببحث ولا أستَبِد برأى، بل أرجو منهم أن يتكرَّموا بمعاونتى فى هذا السبيل الشائك حتى نستخلص الحقيقة معًا، وليس أحبّ إلى نفسى من نصيحة صادقة يقدمها إلىَّ قارئ كريم، أو مشورة مخلصة يتفضَّل بها علىَّ أخ حميم، فأنزل على حكمها، وآخذ فى العمل بها إن شاء الله.

وإلى قرائى الكرام بيان خطتنا فى الكتابة على كل علم من العلوم السابقة إن شاء الله تعالى.

أولاً: التفسير:

لما كانت الغاية من تفسير كتاب الله تعالى -فيما أعتقد- هى: توضيح معانى آياته توضيحًا يجمع للقارئ فهم المراد والتأثُّر به، ومعرفة ما فى الآية من أحكام وعبر. فلكى يصل القارئ إلى هذه الغاية فى الوقت القصير والجهد اليسير سنراعى فى كتابة التفسير الأمور الآتية:

١- حل المفردات اللغوية والتراكيب حلاً مجملاً.

٢- سهولة العبارة والتوسُّط فى إيراد المعانى.

٣- التحقيق فى الحوادث والقصص، فلا نذكر منها إلا ما له مساس بالآية ويؤيِّده الدليل.

٤- ربط معانى القرآن الكريم بمظاهر الحياة الحديثة علمية واجتماعية وخلقية.

٥- ذكر أسباب النزول، وبيان الرابطة بينها وبين الآيات.

٦- ذكر الأحاديث النبوية المتعلقة بالآية من حيث تأثيرها ومعناها.

٧- استنباط العِبَر والعظات والأحكام الفقهية التى تحتوى عليها الآية الكريمة.

٨- الاقتصاد فى مسائل الخلاف، وقفل باب الجدل فى التأويل، وعدم التعصُّب إلى رأى من الآراء.

٩- التقفية ببحوث لغوية وأصولية بعد التفسير، حتى يجد فيها المتنورون ما تصبو إليه أفكارهم من تمام البحث وسعة الاطلاع.

١٠- التنبيه على المغالط التى وقع فيها بعض المفسرين، ورد الشبهات التى عسى أن يوردها بعض المغرضين على الآية الكريمة.

وقد راعينا فى السَّير على هذه الطريقة أن تكون نافعة لعامة المسلمين، فيستطيعون فهم المعنى الإجمالى، ومعرفة العبر والأحكام، وأن تكون سارة للمستفيدين لما يتلو ذلك من بحوث عالية.

ويعجبنا أن نورد هنا كلمة من وصية قيمة لمصلح كبير أوصى بها بعض إخوانه فقال: «داوم على قراءة القرآن، وتفهَّم أوامره، ونواهيه، ومواعظه وعبره كما كان يتلى على المؤمنين أيام الوحى، وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير، إلا لفهم غاب عنك مُراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفى عليك متصله، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه، واحمل نفسك على ما يحمل عليه».

وسنرتب اختيار الآيات بترتيب المقاصد الكلية للقرآن الكريم، فنبدأ -إن شاء الله تعالى- بآيات التعبُّد وهى الآيات التى تكثر تلاوتها فى العبادات، ووردت الأحاديث بفضيلة خاصَّة فى تلاوتها، كالفاتحة والمعوذتين والكافرون والكهف وتبارك والواقعة ويس، ثم نقفّى بآيات العقائد والنظر فى الكون، ثم بآيات الأخلاق، ثم بآيات الأحكام، ثم بقصص القرآن الكريم، وهكذا، والله المستعان[1].

---

(١) لم يتناول الإمام الشهيد هذه السور بالتفسير، وذلك لأمر ينبغى أن نبيِّنه هنا، وهو أن من تولى فقرة التفسير فى مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) ليس الإمام الشهيد، ولكنه الأستاذ الكبير الشيخ طنطاوى جوهرى الملقب بفيلسوف الإسلام، فقد تناول كل هذه السور بالتفسير، فلم يكن باب التفسير حينئذ منوطًا بالإمام الشهيد، اللهم إلا مقالاً واحدا للإمام البنا فسر فيه سورة الفاتحة فقط. ثم أعقب الشيخ طنطاوى جوهرى: الشيخ مصطفى الحديدى الطير أثناء غياب الشيخ طنطاوى وبعد وفاته رحمه الله، ثم فى السنة الثالثة من المجلة أحيل باب التفسير إلى الإمام الشهيد، وهو هنا يبيِّن المنهج الذى ستسير عليه المجلة، وسيسير عليه هو إن كتب فى الباب. وقد جمعت ما كتبه الإمام البنا فى التفسير وعلوم القرآن فى كتاب (نظرات فى كتاب الله) نشرته دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة، ودار القلم- دمشق.

ثانيًا: العقائد:

سنقتصر فى الكتابة على بحوث هذا الفن (أى العقيدة) إن شاء الله تعالى على أمرين أساسيين:

أولهما: الاعتماد على طريقة القرآن الكريم والرسول ﷺ فى توصيل العقائد الدينية إلى النفوس، واستيلائها على المشاعر والقلوب بدون تعمُّق فى الألفاظ وتشعُّب فى البحوث، أو إيراد للآراء والمذاهب، أو خوض فى مصطلحات الفلاسفة والمناطقة والكلاميين والجدليين، وتلك طريقة السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم.

وثانيهما: العناية ببيان آثار هذه العقائد فى النفوس، ليعلم القارئ: أين نفسه من درجة استيلاء العقيدة الإسلامية عليها؟ فإن كانت متأثرة بها: حمد الله على نعمته، وإن كانت هذه الآثار ضعيفة فى نفسه: عمل على علاجها وتقوية إيمانها، فقد كانت العقائد عند أسلافنا عواطف مستقرة فى القلوب والمشاعر، مستولية على النفوس، فلما أن صارت عندنا جدلاً وكلامًا أضعف إيمان الأمة، وتسرَّب إلى دينها الخلل والوهن.

وسنُتْبع ذلك عند مناسباته برد الشبهات الحديثة، والاستدلال على العقائد الإسلامية بالنظريات العصرية لا على سبيل المزج والاختلاط، ولكن على سبيل الاستئناس والاستنباط، نتأوَّل قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت: ٥٣] (١).

ثالثًا: الفقه:

أما الفقه فالكتابة فيه أمر مُشكِل من عدَّة وجوه، فهناك كثرة تفريعاته وجدلياته، وتعقُّد أساليبه، والخلاف فى أصوله، وأهم هذه الوجوه تعدد المذاهب والآراء فيه،

---

(١) كتب الإمام البنا بناء على هذا المنهج ثلاث رسائل فى العقيدة، وهى: رسالة (العقائد) فى سلسلة مقالات فى مجلة (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية، ثم جمعها فى مجموعة الرسائل، ورسالة (فى صميم العقيدة) وقد نشرها فى سلسلة مقالات فى مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية، وهى لم تجمع من قبل، ورسالة (الله فى العقيدة الإسلامية) وهذه نشرت فى مجلة (الشهاب) الشهرية، وجُمعت فى رسالة نشرتها دار الشهاب، وسوف نجمع هذه الرسائل معًا إن شاء الله، فى رسالة تحت عنوان: (فى صميم العقيدة).

وتقررها فى نفوس الأمة تقررًا يجعل الخـروج عليها ضربًا من الإلحاد يختلف عند الناس باختلاف نصيبهم من الحرية الفكرية فى البحث.

فهل أكتب للقراء الفـقه الإسلامى بحسب مذهب واحد من المذاهب، فيـستفيد أتباع هذا المذهب -وهم جزء قليل من الأمة بالنسبة لمجموعها- ويُحْرَم الباقون؟ أم أكتب لهم بحـسب المذاهب كلها، وهو مـجهودٌ شـاقٌ من ناحيـة، وفيه اخـتلاط الأحكام على القارئ من ناحيـة أخرى ولا سيما عند الطبقة العـامة من القارئين، ذلك إلى ما فيـه من قطع الصلة بين المسلم وبين منابع التشريع الأسـاسية التى هى الكتاب والسنة؟

أم أكتب لهم الآيات والأحاديث الفقهية، وهـم لم يبلغوا بعد درجة الاجتهاد، ولا يجدون من أوقاتهم ما يساعدهم على الاستنباط والفهم، فلا يستفيدون شيئًا، ويسيحون فى فوضى من الأفهام لا ضابط لها؟

أم أقفِّى علـى هذه الآيات والأحاديث بما أفـهمه منهـا فيكون مـذهبًا خـاصًا، والحال أنى لو كُلِّفت نقـل جبل من أقصى الأرض إلى أقـصاها لكان أهون عندى من تحمُّل هذه التبعة ولست لها بأهل؟

الحق أن هذه مشكلة وقفت أمامها طويلاً، ولا شك أنك تقف نفس هذا الموقف إذا حاولت الكتابة فى الفقـه كتابة تقصد بها تعليم الأمة وإفـادتها، كما أنك تقف هذا الموقف نفسـه إذا حاولت تدريس الفـقه فى جمع من الناس فـيه العامى وفـيه المستنير، وتمرُّ أمـامك هذه النظرات سراعًا فلا تدرى بأيهـا تأخذ، وعلى أى طريق من طرقها تسير.

ولا شك أن لهذه الحيرة أثرها فى جهل العامة بـأحكام عبادتهم كما هو مُشاهد ملموس. وهذه وزارة الأوقـاف قد خاضت لجنتهـا غمار هذه المعمـعة، وحاولت الوصول إلـى حل لهذه المشكلة، وانتـهت إلى إخراج كـتاب «الفقـه فى المذاهب الأربعة» فـى العبادات، وبـذلت فيه مـجهـودًا مشكورًا، إلا أنهـا لم تزد على أن جمعت الأقوال المختلفة فى مسائل العبادات على ترتيب لا يصل إلى الأحكام معه إلا أولو العلم، فلم تفد العـامة بشىء، فهو مـرجع أكثر منه كتـابًا يُدرس ويتعلَّم الناس منه.

وقفت أمـام هذه المشكلة طويلاً كـما ذكرت لـك، وبعد لأْيٍ[1] رأيت وسيلة للخروج مـن هذا المأزق أذكرها لك لا على أنهـا فَصْل الخطاب، بل على أنهـا ما أفاضه الله على ذهنى، وألهمنى أن أسير عليه، أنست فيها الفائدة، فإن أفاض الله عليك خيـرًا منها فأمدنى بما أفـاض الله عليك، حتى نتعاون مـعًا على تذليل هذه العقبات، وتَعْبيد[2] طريق دراسة الفقه الإسلامى، فإن الأمر أكبر من أن يستقل به واحد.

هذه الوسيلة هى أن تكون الكتابة على درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: الكتابة للعامة، وفيها نورد الكيفيات والأحكام المجمع عليها بين أئمة الفقه بدون نظر إلى تفصيلها وحكمـهم عليها، ويقفى على ذلك بما ورد فيها من التـرغيب والتـرهيب، والفوائد الدينيـة والدنيوية، وأسـرار التشـريع، وبذلك يستطيع العامى أن يعـرف أحكام عباداته ويصحِّحها ويؤدِّيهـا كما يريد الله ورسوله مع شعوره بفائدتها الدينية والدنيوية.

الدرجة الثانية: الكتابة للمستنيـرين، وفى هذه نورد أحكام كل عمل من أعمال الكيفية العـامة عند الأئمة رضوان الله عليهم مردفة بالأدلة، وذلك بعـد مقدمة فى الأصول الاصطلاحية، وفى أسباب اختلاف الأئمة رضوان الله عليهم.

الدرجة الثـالثة: الكتابة للعلمـاء المختصين، وفى هذه نورد وجوه الـترجيح بين الأقوال بحيـث يعلم الباحث أرجحهـا فى المسألة، ويكوِّن لنفسه رأيًا يطمـئن إليه قلبه. وهذه لا تكون إلا للأثبات من العلمـاء بعد أن تتكوَّن عندهم وسائل البحث وملكات النظر وقليل ما هم.

والذى سنعرض له فى جريـدة الإخوان المسلمين القسمـان الأولان، أما القسم الثالث فقد تكفَّلت به المطوَّلات من كتب الفقه والحديث.

وسنراعى إن شاء الله تعالى فيما نكتب:

أولاً: البُعد عن التفريعات والفروض.

---

(١) اللأى: الجهد والمشقة، انظر: مختار الصحاح ص(٥٨٨)، ولسان العرب (١٥/ ٢٣٧).

(٢) التعبيد: أى التذليل، وهو هنا بمعنى التيسير، انظر: لسان العرب (٣/ ٢٧٤)، مختار الصحاح ص(٤٠٨).